قصيدة " بانت سعاد " لكعب بن زهير
" قراءة في ضوء المنهج الحجاجي "

د / وائل علي محمد السيد
أستاذ مساعد بكلية التربية – جامعة عين شمس

لقد اخترت هذا الموضوع دفاعا عن الشعر العربي القديم ضد ما يثار حوله من شكوك ، وما يوجه إليه من اتهامات تتمثل في تفكك القصيدة ، وتعدد أغراضها وضعف العقلية العربية ، ، وترجع أهمية هذه الدراسة أنها تطبيق لمنهج نقدي جديد ، وهو المنهج الحجاجي ، على نص شعري قديم ، وهو قصيدة (بانت سعاد) للشاعر كعب بن زهير بن أبي سُلمى.

وتطرح تلك الدراسة الأسئلة الآتية : هل يمكن تطبيق منهج حديث كالمنهج الحجاجي على نص قديم ؟ وما الإشكالية التي يواجهها الباحث في هذا التطبيق ؟ وما التقنيات التي يعتمدها الشاعر ليحتج لرأيه ويدافع عن فكرته ؟ وهل نجح الشاعر في إقناع المخاطب؟

وسوف نحاول أن نقرأ القصيدة من وجهة النظر الحجاجية ، من حيث الغاية التي من أجلها قالها الشاعر ، مع رصد الحجج التي اعتمد عليها ، والعلاقات التي تؤلف بين أجزاء النص ؛ ذلك من أجل الوصول إلى وحدة حجاجية ، تجمع مكوناتها ، رغم ما يظهر من تنوع موضوعاتها ، وتعدد أغراضها ، وتبين الدراسة أهم الأدوات التي استعان بها الشاعر بوصفها وسائل إقناعية ، كالصورة واللغة.

الكلمات المفتاحية :

المناهج النقدية – نقد حديث – الحِجاج – الشعر القديم – كعب بن زهير

The poem "Bant Souad" by Ka'b ibn Zuhair " Reading in the Light of the Pilgrimage Approach

Dr . wael aly Elssayed

I chose this subject in defense of the old Arabic poetry against the doubts that surround it, and the accusations that are directed at the disintegration of the poem, the multiplicity of purposes and the weakness of the Arab mindset. The importance of this study is that it applies to a new critical approach, Old, a poem (bant Suad) which the poet Kaab bin Zuhair bin Abi Solma said .

The study raises the following questions: Is it possible to apply a modern approach such as the Pilgrim's approach to an old text? What is the problem faced by the researcher in this application? What techniques do the poet adopt to protest his opinion and defend his idea? Did the poet succeed in convincing the addressee?

And we will try to read the poem from the point of view of the pilgrims, in terms of the purpose for which the poet said, with the monitoring of the arguments relied upon, and the relationships that are composed between the parts of the text; in order to reach the unity of pilgrims, And the multiplicity of purposes, and the study shows the most important tools used by the poet as a means of persuasion, such as image and language.

قصيدة " بانت سعاد " لكعب بن زهير
" قراءة في ضوء المنهج الحجاجي "

د / وائل علي محمد السيد
أستاذ مساعد بكلية التربية – جامعة عين شمس

مقدمة

يشاع أن العقلية العربية قبل الإسلام لم تكن عقلية راقية ، ولم تتوصل إلى شيء مما توصل إليه اليونان من علوم الفلسفة والمنطق والفلك والرياضيات ، وما برعت في شيء من هذا إلا بعد أن جاء الدين الحنيف ، فدعاها إلى التفكر والتبصر والتأمل والنظر، فنهلت من علوم الأمم الأخرى وفنونها ، وتأدبت بآدابها ، فآتاها الله هداها .

وقد تناول الباحثون هذه القضية ، وذكروا ما كان يعاب على العرب ، " فقد نسب إلى كسرى أنه نظر فوجد أن لكل أمة من الأمم ميزة وصفة ؛ فوجد للروم حظا في اجتماع الألفة وعظم السلطان وكثرة المدائن ووثيق البنيان، وأن لهم دينًا يبين حلالهم وحرامهم ويرد سفيههم ويقيم جاهلهم، ورأى للهند، نحوًا من ذلك في حكمتها وطبّها مع كثرة أنهار بلادها وثمارها، وعجيب صناعاتها ودقيق حسابها وكثرة عددها. ووجد للصين كثرة صناعات أيديها وفروسيتها وهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديد، وأن لها ملكًا يجمعها، وأن للترك والخزر، على ما بهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمار والحصون ملوك تضم قواصيهم وتدبر أمرهم. ولم يرَ للعرب دينًا ولا حزمًا ولا قوةً. همتهم ضعيفة بدليل سكنهم في بوادي قفراء، ورضائهم بالعيش البسيط، والقوت الشحيح، يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضًا من الحاجة. أفضل طعامهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها. وإن قَرَى أحدهم ضيفًا عدّها مكرمة. وإن أطعم أكلة عدّها غنيمة تنطق بذلك أشعارهم، وتفتخر بذلك رجالهم . ثم إنهم مع قلتهم وفاقتهم وبؤس حالهم، يفتخرون بأنفسهم، ويتطاولون على غيرهم وينزلون أنفسهم

فوق مراتب الناس ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكًا أجمعين ، وأبوا الانقياد لرجل واحد منهم يسُوسُهم ويجمعهم ، إذا عاهدوا فغير وافين. سلاحهم كلامهم، به يتفنَّنون، وبكلامهم يتلاعبون. ليس لهم ميل إلى صنعة أو علم ولا فن، لا صبر لهم، إذا حاربوا ووجدوا قوة أمامهم، حاولوا جهدهم التغلب عليها، أما إذا وجدوها قوة منظمة هربوا مشتتين متبعثرين شراذم، يخضعون لحكم الغريب ويهابونه ويأخذون برأية فيهم، ما دام قويًّا، ويقبلون بمن ينصبه عليهم، ولا يقبلون بحكم واحد منهم، إذا أراد أن يفرض سلطانه عليهم " [1]

وهناك مظهر آخر من مظاهر العقلية العربية ، لاحظه بعض المستشرقين هو" أن طبيعة العقل العربي لا تنظر إلى الأشياء نظرة عامة شاملة، وليس في استطاعتها ذلك. فالعربي لم ينظر إلى العالم نظرة عامة شاملة كما فعل اليوناني، بل كان يطوف فيما حوله، فإذا رأى منظرًا خاصًا أعجبه تحرك له، وجاش صدره بالبيت أو الأبيات من الشعر أو الحكمة " [2]

ولا يمكن أن نسلِّم بكل ما قيل في حق العقلية العربية من مثالب ، فهو كلام فيه نظر ، ولكن لا بد من وضعه في الاعتبار ونحن ندرس النص القديم دراسة حجاجية ، لما يحتاجه الحجاج من قدرة على الاستدلال والاستنتاج ، والتأثير والإقناع ، ولست مع الرأي القائل إن " الشاعر الجاهلي قادر على الاحتجاج قدرة الإنسان مطلقا على تبرير موقفه وإثبات آرائه ، وحمل الآخرين على التسليم بها " [3] ، فهذا أكثر مما تطيقه العقلية العربية ، لما قدمت من الأسباب .

---

[1] - المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام : الدكتور جواد علي ، دار الساقي ط 4 ، 1422هـ/ 2001م 264/1

[2] - المرجع السابق 268/1

[3] - الحجاج في الشعر العربي : د / سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ط 2 ، 1432هـ / 2011م ، ص 4

ولهذا تطرح تلك الدراسة الأسئلة الآتية :

- هل يمكن تطبيق منهج حديث كالمنهج الحجاجي على نص قديم ؟
- ما الإشكالية التي يواجهها الباحث في هذا التطبيق ؟
- ما التقنيات التي يعتمدها الشاعر ليحتج لرأيه ويدافع عن فكرته ؟
- هل ينجح الشاعر في إقناع المخاطب ؟

أهمية الدراسة :

لقد اخترت هذا الموضوع دفاعا عن الشعر العربي القديم ضد ما يثار حوله من شكوك ، وما يوجه إليه من اتهامات ، وترجع أهمية هذه الدراسة أنها تطبيق لمنهج نقدي جديد ، وهو المنهج الحجاجي ، على نص شعري قديم ، وهو قصيدة (بانت سعاد) للشاعر كعب بن زهير بن أبي سُلمى ، وفي حدود علمي لم أعثر على دراسة سابقة تتناول هذه الفصيدة وتحللها من خلال ذلك المنهج .

(2)

مفهوم الحجاج

لن أطيل في توضيح معنى الحجاج ، لأن مؤلفات عديدة أفردت لهذا الموضوع ، وأكتفي بتعريف موجز وهو أنه " توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا "[4] ، وتعديل السلوك أو تغييره يستوجب أن يكون للخطاب قدرة كبيرة على الإقناع " أي التوجه إلى المستمع بالمبررات المقبولة لتبني رأي ما " كما يقول بروتون [5]

---

[4] - مدخل إلى الحجاج : د / محمد الولي ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع 2 ، م 40 ، أكتوبر – ديسمبر 2011م ، ص 11

[5] - المرجع السابق ص 15

لذلك فإن برلمان وتيتيكاه وضعا تعريفا لنظرية الحجاج مؤداه أنه " درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم " [6]

ويبين الكاتبان الغاية من الحجاج فيقولان : " غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان ، فأنجع الحجاج ما وفّق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين ، بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه ، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة " [7]

[6] - في نظرية الحجاج : عبد الله صولة ص 13

[7] - المرجع السابق ص 13 ، نقلا عن الكتاب الأصلي " أطروحة في الحجاج – البلاغة الجديدة " للمؤلفين المشار إليهما أعلاه ، والمنشور بالفرنسية ، طبعة جامعة بروكسل 1992م .

(3)

أسباب اختيار هذا النص : [8]

تعد قصيدة البردة لكعب بن زهير من عيون الشعر العربي ، ومن أشهر القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وسميت بالبردة لأن الشاعر لما ألقاها أمام النبي صلى الله عليه وسلم ألقى عليه بردته .

والشاعر من الشعراء المخضرمين ، عده ابن سلام من شعراء الطبقة الثانية [9] ، وقال عنه ابن قتيبة : " وكان كعب فحلا مجيدا " [10]

" والمتتبع لسيرة كعب بن زهير يجد أنه كان شاعرا عالي الطبقة في تاريخ الأمة الإسلامية في صدر الإسلام ، وله مكانته المرموقة بين شعراء عصره – إن لم يكن ممن

[8] - اعتمدنا في هذا النص على رواية السيرة النبوية لابن هشام 503/2 : 512 ، ووردت القصيدة في مصادر أخرى متعددة مع اختلاف في عدد أبياتها ، وفي ترتيب بعض الأبيات ، انظر : جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ، تحقيق علي محمد البجاوي ص 632 : 641 وعدد أبياتها ستة وخمسون ، وفي نهاية الأرب للنويري ص 431/16 وعدد أبياتها سبعة وخمسون ، وفي ديوان كعب بن زهير صنعة أبي سعيد السكري ، تحقيق مفيد قميحة ص 109 : 116 ، وعدد أبياتها خمسة وخمسون ، وفي ديوان كعب بن زهير ، تحقيق علي فاعور ص 60 : 66 ، وعدد أبياتها تسعة وخمسون .

[9] - انظر: طبقات فحول الشعراء 97/1

[10] - الشعر والشعراء 154/1 ، انظر في شروح القصيدة ومعارضاتها: تاريخ الأدب العربي للمستشرق الألماني كارل بروكلمان ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ط 1 ، القاهرة 1977م ، 156:162/1

تفوق عليهم – لما تضمنه شعره من خصائص وسمات فنية جمالية ، إلى غير ذلك من قيم تربوية إسلامية جديدة " [11]

ولقد امتد تأثير القصيدة إلى الشراح والنقاد والمؤرخين الذين عنوا بالقصيدة ، وطفقوا يتناولونها بالشرح والمعارضة والاستشهاد اللغوي والنحوي ، ومن ذلك " شرح بَانَتْ سعاد لِابْنِ الْأَنْبَارِي وَلأبي الْعَبَّاس الْأَحول وَلابْن خالويه وَلابْن هِشَام الْأنْصَارِيّ وَلابْن كتيلة الْبَغْدَادِيّ وَشرح الْبردَة لِابْنِ مَرْزُوق "[12]، وغيرها .

مناسبة القصيدة :

لما انصرف رسول الله عن الطائف كتب بجير بن زهير إلى أخيه كعب يخبره أن النبى صلى الله عليه وسلم قتل رجلا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأن من بقى من شعراء قريش كابن الزّبعرى، وهبيرة بن أبى وهب قد هربوا فى كل وجه، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبا، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض. وكان كعب قد كتب إلى أخيه بجير لمّا بلغه إسلامه:

ألا أبلغا عنّى بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا؟
شربت مع المأمون كأسا رويّة ... فأنهلك المأمون منها وعلّكا
وخالفت أسباب الهدى واتّبعته ... على أىّ شىء ويب غيرك دلّكا
على خلق لم تلف أمّا ولا أبا ... عليه ولم تدرك عليه أخا لكا

وبعث بها إليه، فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم،

[11] - القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير : منيرة عائش سعود كليب – رسالة ماجستير – كلية التربية – جامعة أم القرى – 1435هـ ص 3

[12] - خزانة الأدب 22/1

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع قوله «سقاك بها المأمون» : «صدق وإنه لكذوب، [أنا المأمون] » ولما سمع قوله «على خلق لم تلف أمّا ولا أبا عليه» قال: « [أجل] لم يلف عليه أباه ولا أمه» فكتب بجير إلى كعب يخبره بأنه أسلم ، ويدعوه إلى الإسلام ، فلما بلغ كعبا كتاب أخيه ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان فى حاضره من عدوّه، فقالوا: هو مقتول، ويقال إنه هام يترامى على القبائل أن تجيره فلم يجره أحد ، فخرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلّى الصبح فصلّى معه، ثم أشار الجهنىّ لكعب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه، فقام حتى جلس إليه، فوضع يده فى يده، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه، فقال: يا رسول الله إنّ كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم» فقال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير، فوثب رجل من الأنصار وقال: يا رسول الله، دعنى وعدوّ الله أضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه عنك، فإنه قد جاء تائبا نازعا » . [13]

وأنشد كعب قصيدته؛ ومطلعها :

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ

قال المقري : " وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ، والحكم الذي لم يوجد له ناسخ، أنشدها كعبٌ في مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه، وتوسّل بها فوصل إلى العفو عن عقابه، فسدّ صلى الله عليه وسلم خلّته، وخلع عليه حلّته، وكفّ عنه كفّ من أراده، وأبلغه في نفسه وأهله مراده، وذلك بعد إهدار دمه، وما سبق من هذر كلمه، فمحت حسناتها تلك الذنوب، وسترت محاسنها وجه تلك العيوب، ولولاها لمنع المدح والغزل،

[13] - راجع في إسلام كعب ومناسبة القصيدة : العمدة ص 14 ، 15 ، نهاية الأرب 429/16 : 431 ، إضافة إلى المراجع السابقة في الهامش رقم 16

وقطع من أخذ الجوائز على الشعر الأمل، فهي حجّة الشعراء فيما سلكوه، وملاك أمرهم فيما ملكوه "[14]

والقصيدة نص تتأكد شعريته ، وتتوفر جمالياته ، كتبها الشاعر احتجاجا لرأيه وإثباتا لصحة نيته ، ودفعا لفكرة استحلال الدم ، وأقام حججه ، وقوى براهينه لإقناع الطرف الآخر وهو الرسول صلى الله عليه وسلم لقبول توبته ، والعدول عن إهدار دمه ، وقد كان الشاعر بارعا في عرض فكرته ، واستخدام الأدوات المختلفة التي جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم يعفو عنه ، ويلقي عليه بردته .

قال السهيلي : " ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنشده كعب بن زهير أبيات هذه القصيدة ... صار عليه السلام ينظر إلى أصحابه كالمعجب لهم من حسن القول ، وجودة الشعر " [15]

وتقع القصيدة في ثمانية وخمسين بيتا من بحر البسيط ، سار الشاعر فيها – حسبما يبدو من ظاهر النص – على منهج القصيدة الجاهلية ، من حيث تعدد الأغراض ، والبدء بالنسيب ، واستعمال ألفاظ فيها غرابة ، وصور منتزعة من البيئة العربية .

[14] - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: 1041هـ) ، تحقيق : إحسان عباس – دار صادر– بيروت الجزء: 2 – الطبعة: 1، 1997 ، 689/2

[15] - الروض الأنف : للسهيلي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، 1390هـ . 300/7

(4)

تعدد الأغراض من وجهة النظر الحجاجية :

مما استقر في أذهان بعض الدارسين أن الشعر العربي القديم متهم بتفكك البنية ، الناتج من تعدد الأغراض مما جعله يخلو من الوحدة العضوية ، كما يرى أصحاب هذا الرأي ، ومنهم الدكتور شوقي ضيف الذي يقول إن القصيدة القديمة " لا تلم بموضوع واحد يرتبط به الشاعر ، بل تجمع طائفة من الموضوعات والعواطف لا تظهر بينها صلة ، ولا رابطة واضحة " [16]

ومثل هذا قاله الدكتور غنيمي هلال ، فهو يرى تفكك القصيدة ، وأن الشعراء الأوائل لم يولوا عنايتهم شيئا من تنظيم المعاني ولا وترابط الأفكار " إذ كانت تتوالى أبيات القصيدة على نحو لا يبرره إلا واقع حياة البدوي ومشاعره النفسية " [17] .

ولا نغالي فنقول إن الشعر القديم كله لا يتسم بالترابط العضوي والوحدة الفنية ، ولكن إذا نظرنا من المنظور الحجاجي فسوف نجد أن الشاعر قد عرض أفكاره في كثير من الأحيان في صورة مسلسلة ومرتبة ، تسلم كل فكرة منها إلى الأخرى ، وهذا ما تحدث عنه ابن قتيبة حين بيّن أن أغراض القصيدة بينها تناسب وانسجام ، وحاول أن يلتمس تفسيرا لتنوع المواضيع في القصيدة التقليدية ، فذكر " أن مقصِد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدّمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرّبع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ... ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدّة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعى به إصغاء الأسماع إليه ، لأنّ التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله فى تركيب

[16] - العصر الجاهلي : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981م ، ص 244

[17] - النقد الأدبي الحديث : د / محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة – ط 6 – 2006م ، ص 208

العباد من محبّة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلّقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم، حلال أو حرام. فإذا علم أنّه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقّب بإيجاب الحقوق، فرحل فى شعره، وشكا النّصب والسّهر، وسرى الليل وحرّ الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير. فإذا علم أنّه قد أوجب على صاحبه حقّ الرجاء، وذمامة التأميل، وقرّر عنده ما ناله من المكاره فى المسير، بدأ فى المديح، فبعثه على المكافأة ، وهزّه للسّماح ، وفضّله على الأشباه، وصغّر فى قدره الجزيل " [18]

وهذا طه حسين يدافع عن القصيدة التقليدية ، ويعطيها حقها من الإنصاف فيقول : " ولست أريد أن أبعد في التدليل على أن الشعر العربي القديم كغيره من الشعر قد استوفى حظه من هذه الوحدة المعنوية ، وجاءت القصيدة من قصائده ملتئمة الأجزاء ، قد نسقت أحسن تنسيق وأجمله وأشده ملاءمة للموسيقى التي تجمع بين جمال اللفظ والمعنى والوزن والقافية " [19]

ومن تقاليد القصيدة القديمة وحدةَ البيت ، وقد أكد النقاد قديما على أن البيت يجب أن يكون مستقلا عن غيره ، وعابوا المعاظلة ، قال قدامة : " ومن عيوب اللفظ المعاظلة ، وهي التي وصف عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته لها ، فقال: وكان لا يعاظل بين الكلام. وسألت أحمد بن يحيى عن المعاظلة، فقال: مداخلة الشيء في الشيء " [20]

---

[18] - الشعر والشعراء : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ) ، تحقيق / أحمد محمد شاكر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1377 هـ / 1958 م ، 75/1، 76

[19] - حديث الأربعاء : طه حسين ، دار المعارف بمصر 32/1

[20] - نقد الشعر : قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (المتوفى: 337هـ) مطبعة الجوائب – قسطنطينية ، ط 1، 1302هـ 66/1

وقال أبو هلال العسكري : " فمن سوء النّظم المعاظلة، وقد مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه زهيرا لمجانبتها ، فقال: كان لا يعاظل بين الكلام ، وأصل هذه الكلمة من قولهم:تعاظلت الجرادتان إذا ركبت إحداهما الأخرى " [21]

وقال ابن رشيق : " ومن حسن النظم أن يكون الكلام غير مثبج، والتثبيج: جنس من المعاظلة ... ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض، وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده " [22]

وقد قال ابن خلدون عن وحدة البيت إنها " استقلال كل بيت بأنه كلام تام في مقصوده ، ويصلح أن ينفرد دون سواه فيحتاج من اجل ذلك إلى نوع من تلطف في تلك الملكة ، حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب ، ويبرزه مستقلا بنفسه " [23]

إن القارئ للنص (قصيدة كعب) للوهلة الأولى يظن أنها أفكار مبعثرة ، ومشاعر مشتتة ، لا ارتباط بينها ، ولا تآلف يجمعها ، ويصدق فيها ما قيل عن التفكك والتشتت في النص القديم ، وقد نقل السيوطي عن ابن هشام قوله : " أوّل شيء اشتملت عليه هذه القصيدة النسيب، وهو عند المحققين من أهل الأدب جنس يجمع أربعة أنواع،

---

[21] - كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1419 هـ ، 162/1

[22] - العمدة في محاسن الشعر وآدابه : أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: 463 هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط 5 ، 1401 هـ - 1981 م ، 261/1

[23] - المقدمة : ابن خلدون ، دار الجيل ، بيروت ، د ت ، ص 631

أحدها ذكر ما في المحبوب من الصفات الحسية والمعنوية، كحمرة الخد، ورشاقة القد، وكالجلالة والخفر، والثاني: ذكر ما في المحب من الصفات أيضا، كالنحول، والذبول، وكالحزن، والشعف. والثالث: ذكر ما يتعلق بهما من هجر ووصل وشكوى واعتذار ووفاء وإخلاف. والرابع: ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما، كالوشاة والرقباء ، وبيان النسيب فيها أنه ذكر محبوبته وما أصاب قلبه عند ظعنها، ثم وصف محاسنها وشبهها بالظبي، ثم ذكر ثغرها وريقتها وشبهها بخمر ممزوجة بالماء. ثم أنه استطرد من هذا إلى وصف ذلك الماء، ثم من هذا إلى وصف الأبطح الذي أخذ منه ذلك الماء، ثم أنه رجع إلى ذكر صفاتها فوصفها بالصدّ وإخلاف الوعد والتلوّن في الود، وضرب لها عرقوبا مثلا، ثم لام نفسه على التعلق بمواعيدها ، ثم أشار إلى بعد ما بينه وبينها، وأنه لا يبلغه إليها إلّا ناقة من صفتها كيت وكيت. وأطال في وصف تلك الناقة على عادة العرب في ذلك .

ثم إنه استطرد من ذلك إلى أن ذكر الوشاة وأنهم يسعون بجانبَي ناقته ويحذرونه القتل، وأن أصدقاءه رفضوه وقطعوا حبل مودّته، وأنه أظهر لهم الجلَد واستسلم للقدر. وذكر لهم أن الموت مصير كل ابن أنثى.

ثم خرج إلى المقصود الأعظم، وهو مدح سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وإلى الاعتذار إليه وطلب العفو منه والتبري مما قيل عنه. وذكر شدّة خوفه من سطوته وما حصل له من مهابته. ثم إلى مدح أصحابه المهاجرين " [24]

ويمكننا أن نقسم الموضوعات التي اشتملت عليها القصيدة على النحو التالي :

1- البدء بالنسيب : في الأبيات من 1 : 13

2- ذكر الناقة : في الأبيات من 14 : 34

[24] - شرح شواهد المغني : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ) طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان ، لجنة التراث العربي ، 1386 هـ - 1966 م 2/ 527

3- ذكر الوشاة : في الأبيات من 35 : 38
4- مدح النبي صلى الله عليه وسلم : في الأبيات من 39 : 51
5- مدح الصحابة : في الأبيات من 52 : 58

إن القراءة التقليدية للنص لا تجعلنا نفهم النص جيدا ، ولا نرى فيه إلا التزاما محضا بتقاليد القصيدة العربية القديمة ، وجريا على عادة العرب ، في تعدد الأغراض ، والبدء بالغزل ، ووحدة البيت ... إلخ .

وسوف نحاول أن نقرأ القصيدة من وجهة نظر حجاجية ، من حيث الغاية التي من أجلها قالها الشاعر ، مع رصد الحجج التي اعتمد عليها ، والعلاقات التي تؤلف بين أجزاء النص ؛ ذلك من أجل الوصول إلى وحدة حجاجية ، تجمع مكوناتها ، رغم ما يظهر من تنوع موضوعاتها ، وتعدد أغراضها .

البدء بالنسيب :

بدأ الشاعر قصيدته بتوظيف استراتيجية إمتاعية هدفها الإقناع ، وهذه الاستراتيجية هي استراتيجية التأثير العاطفي على المتلقين أو المستمعين ، سواء تعلق الأمر بالمقصودين أو غير المقصودين بالخطاب ، وهذا لاستمالة المخاطبين ، واستدراجهم إلى ما بعده ، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون ممن يؤثر الشعراء في عواطفهم . أو يستدرجونهم إلى غير الحق.

إن قراءة النص من زاوية حجاجية تجعلنا نرى فيه سلسلة من العذابات والمحن ، فالشاعر لا يخرج من محنة إلا إلى أخرى هي أشد من أختها ، وها هو يفتتح القصيدة بالفعل (بانت) وتلك محنة ، فهو الفراق الذي أعقبه ألما وحزنا شديدين ، فقد ترتب على هذا الحدث الفاجع أن القلب (متبول ، متيم ، مكبول) وكلها أسماء مفعولين تتضافر مع الفعل المبني للمجهول (لم يُفد) لتؤكد عجز الشاعر أمام المحنة ، فهو مفعول به ضعيف أمام قوة فاعلة قادرة ، يقول :

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مُتَبُولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا ، لَمْ يُفْدَ ، مَكْبُولُ

قال ابن حجة الحموي : " لما فارقته سعاد ، وتبلت قلبه ، وتيمته صار بعدها كأسير لم يفد بفداء يفكه من الأسر ، فهو باق على حال الأسر " [25]

ويأتي التصريح باسم المحبوبة (سعاد) دلالة حجاجية ، فالشاعر ينتظر حصول السعادة له بعد إلقاء قصيدته وهو في مقام الاعتذار والندم ، فهو اسم لم يأت في القصيدة عبثا ، فقد اختاره – سواء أكان حقيقيا أم متوهما – ليتحقق له الإسعاد ، وإلى هذا التفت السيوطي رحمه الله فقال : " الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب على ناظمها أبرك كعب ، وأنطقه بذكر سعاد تفاؤلا ففاز من الإسعاد بما سهّل عليه من طرق الرشاد كل صعب " [26]

وفي الأبيات التالية للبيت الأول اعتراف تام بالعجز عن نسيان المحبوبة ، فهو يسلي نفسه بتكرار اسمها ، تلذذا به وائتناسا ، ويصفها بأوصاف مستفيضة ، وهذا الوصف الدقيق للمحبوبة ليس إلا حجة يلجأ إليها الشاعر ؛ ليدلل على شدة تعلقه بها ، لما تتمتع به من مظاهر جمال حسية ومعنوية ، لا تتوفر لغيرها من النساء ، فهي في يوم الرحيل كانت كالظبي الأغن ، في صوتها نبرة محبوبة ، لحظها فاتر، عيناها مكتحلتان ، إذا ابتسمت كشفت عن فم عذب ريقه ، قد أمضه صفاؤه وبريقه ، حتى ملكت المحبوبة عليه جميع حواسه ، وما استمراره في وصفها إلا حجج يسوقها ليقنع نفسه ويقنع السامع بأسباب انجذابه نحوها .

وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ... إِلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

---

[25] - شرح قصيدة كعب بن زهير : لابن حجة الحموي ، تحقيق د / علي حسين البواب ، مكتبة المعارف ، الرياض ، 1406هـ / 1985م ، ص 28

[26] - كنه المراد في بيان بانت سعاد : جلال الدين السيوطي ، تحقيق مصطفى عليان ، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1426هـ / 2005م ، ص 97 ، وانظر أيضا : حاشية الباجوري على شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام الأنصاري ص 2 حيث يقول : " الشيخ الباجوري فقال " الحمد لله الذي أنطق كعبا بذكر سعاد تفاؤلا بها ففاز بالإسعاد "

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً ، عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً ... لَا يُشْتَكَى قِصـرٌ مِنْهَا وَلَا طُولُ

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ ... كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

شُجَّتْ بِذِي شَيَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ...صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ

تَنْفِي الرِّيَاحُ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ ... مِنْ صَوْبِ غَادِيَةٍ بيض يعاليل

فالشاعر ممزق وحائر بين الماضي الحبيب ، والحاضر العصيب ، فالماضي يأسره بذكرياته العذبة ، والحاضر يطارده ويضاعف كربه ، وخاصة أن المحبوبة رغم سلطان حبها وتمكنه من قلبه فإنها كانت تعذبه بالأماني الزائفة ، والأحلام الخادعة ، وها هو يخاطب نفسه مقنعا إياها بأنه لا جدوى من هذا التعلق ، وأنه يسيطر عليه اليأس مرة أخرى ، " لا يغرنك ما تمنيك وما تعدك به ، فكلاهما تضليل " [27]

فيالها خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَـ دَقَتْ ... بِوَعْدِهَا أَوْ لَوَ انَّ النَّصْحَ مَقْبُولُ

لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِهَا ... فجع ، وولع ، وَإِخْلَافٌ ـ وَتَبْدِيلُ

فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا ... كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ

وَمَا تَمَسَّكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ ... إِلَّا كَمَا يُمْسكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ

فَلَا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ... إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ

ويحشد الشاعر جملة من الألفاظ المحملة بالدلالات النفسية المتأزمة " لا يغرنك ، الأماني ، الأحلام ، تضليل ، فجع ، ولع ، إخلاف ، تبديل ، أباطيل " الدالة على ما يسيطر عليه من هم ، وما يعتريه من ضعف ، ولعل في تشبيه تقلب المحبوبة بتلون الغول في أثوابها إشارة إلى ضياعه أمام تلك القوة الفائقة " وحقيقة الغول كل ما اغتال الإنسان ، فأهلكه فهو غول " [28]

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا ... وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

---

[27] - شرح قصيدة كعب بن زهير : لابن حجة الحموي ص 37

[28] - المرجع السابق ص 33

وليس أدل من شدة تأثر الشاعر وحزنه من أن يشبه مواعيد سعاد بمواعيد عرقوب ذلك الرجل المماطل المخادع الذي صار مثلا لإخلاف الوعد ، فيقال " أخلف من عرقوب " [29] ، إضافة إلى ما توحيه صيغة منتهى الجموع في (مواعيد ، أباطيل) " من تشتته وأزمته مع المحبوبة ، وينتهي المقطع بصراع نفسي ، واستسلام لليأس :

أَرْجُو وَآمُلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا ... وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيلُ

وهذا من باب تجييش العواطف ، والتأثير على السامع ، فهو يقول إني أمر بظروف غاية في الصعوبة ، فارحموا وهني وحزني .

ولما كانت سعاد قد رحلت مع قومها إلى أرض بعيدة ، احتاج ذلك إلى راحلة قوية ، فأنشأ يتحدث عن الناقة التي تبلغه إياها .

[29] - مجمع الأمثال : للميداني ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، د ت ، 311/2

وصف الناقة :

وهي حجة قوية يلجأ إليها الشاعر ليحمل نفسه على الصبر ، وليحمل المخاطب على الإشفاق عليه ، وفيها استدلال على استحالة عودة الماضي ، واستحالة الوصول إلى سعاد .

أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لَا يُبَلِّغُهَا ... إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ
وَلَنْ يُبَلِّغَهَا إِلَّا عُذَافِرَةٌ ... لَهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ
مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ ...عُرْضَتُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ
تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرِدٍ لَهَقٍ ... إِذَا تَوَقَّدَتْ الْحِزَّانُ وَالْمِيلُ
ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا ، فَعْمٌ مُقَيَّدُهَا ... فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ
غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ ... فِي دَفِّهَا سعَةٌ ، قُدَّامُهَا مِيلُ
وَجِلْدُهَا مِنْ أُطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ ... طِلْحٌ بِضَاحِيَةِ الْمَتْنَيْنِ مَهْزُولُ
حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ ... وَعَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ
يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ ... مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ
عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ ... مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ

لقد حشد الشاعر للناقة جملة من الصفات المثالية ، تسربلت بها جملة من الألفاظ الوحشية ، التي لم تصدر إلا عن شاعر انغمس في البيئة الصحراوية ، وهذا في حد ذاته مقنع باعتباره وجها من وجوه الاحتجاج ، فالناقة من الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ ، لَهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ ، تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرِدٍ لَهَقٍ ، ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا ، فَعْمٌ مُقَيَّدُهَا ... فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ ، غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ ، فِي دَفِّهَا سَعَةٌ ، قُدَّامُهَا مِيلُ ، قَوْدَاءُ ، شِمْلِيلُ ، عَيْرَانَةٌ ، مِرْفَقُهَا مَفْتُولُ ، قَنْوَاءُ ....

ولو تساءلنا : ما حاجة الشاعر إلى الإسهاب في وصف الناقة ؟ وما أهمية هذا الوصف حجاجيا ؟ ، هذا الإشكال لا يحل إلا إذا تذكرنا قاعدة في الحجاج أساسية ،

ونعني قانون الانتقاء الذي يحكم على بناء حجاجي ، فلا مكان فيه للمصادفة والاتفاق ، بل يفترض في أوصاف الناقة أن تكون منتقاة بدقة وإحكام ، على نحو يوجه الخطاب إلى عناية ما قصد إليها الشاعر قصدا [30]

ومن هنا يأتي وصف الناقة حجة جديدة ، فالناقة التي يحتاج إليها الشاعر لتوصله إلى سعاد لها من الصفات ما جعله يطيل الحديث عنها حتى يستغرق واحدا وعشرين بيتا في وصفها ، هي أكثر من ثلث القصيدة ، إنها ناقة تفوق سائر النوق ، فهي عظيمة ، نشيطة ، سريعة ،

وكلها صفات يستدل بها من وجهة النظر الحجاجية ، على أنها ذات قوة وجلد بهما يقاوم فراق سعاد ، ويتجاوز محنة إهدار دمه .

ذكر الوشاة :

ليس ذكر الوشاة في مقام الاعتذار إلا حجة يلجأ إليها الشاعر ليدافع عن نفسه ، وليدفع الهلاك عنها ، ويدفع الوشاية التي تسببت في إيذائه – على حد قوله – وكادت تودي بحياته ، ويحاول الإقناع بالبراءة .

تَسْعَى الْغُوَاةُ جَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمْ ... إِنَّكَ يَا بْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ

وَقَلَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمُلُهُ ... لَا أُلْهِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ

فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ ... فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ ... يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

فالشاعر يذكر سعي الغواة ، وفي رواية (يَسْعَى الوُشاةُ بِجَنْبَيْها) ، أي بجانب الناقة وهي مسرعة ، وهم ساعون ، وهم الذين وشوا به إلى النبي ، وبين كيف أنه استجار بأصحابه وبني قومه فما أجاروه ؛ مما جعله وحيدا لا يجد غير الله يلجأ إليه و يسلمه أمره ، فكل ما قدر الله كائن لابد من وقوعه ، وقد استعان بلفظ (الرحمن)

[30] - انظر : الحجاج في الشعر العربي : د / سامية الدريدي ص 392

بوصفها حجة قوية يستخدمها للدلالة على أنه في أمس الحاجة إلى الرحمة ، ثم يذكر أن كل إنسان لابد وأن يحمل على النعش يوما لذلك فلن يخيفه الموت ، وسيقدم على الرسول صلى الله عليه وسلم وكله أمل في عفوه وصفحه وتأمينه من آثار وعيده ، و يطلب منه عدم معاقبته بأكاذيب النمامين الوشاة حتى وإن كانت كثيرة إلا أنها ملفقة مفتراة . وقد عاد إلى استخدام أسماء المفعولين في وصف نفسه (مقتول ، منسوب ، مسئول ، محمول) للدلالة على أنه لا حيلة له ، وأن كل فاعل يفعل فيه ما يشاء ، وهو عاجز أمام هذه القوى التي لا يملك لنفسه إزاءها نغعا ولا ضرا .

ويختم الحديث عن الوشاة بحجة قوية على مستوى الإقناع بصعوبة موقفه ، وتأزم وضعه ، فهو واقع تحت سلطة القدر الذي لا مفر من حكمه ، وحتمية الموت الذي لا بد منه ، وهي في الوقت نفسه حكمة يحتمي بها من قلق نفسه وجزع قلبه .

مدح الرسول صلي الله عليه وسلم :

هذا المدح ما هو إلا حجة من الحجج التي يتوسل الشاعر بها للعفو ، ولقد عرف كيف يعمل على إرضاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك بالتقرب إليه ، وبيان دوره في نشر الهداية والنور ، وقتاله في سبيل الله ، ويعرض الشاعر لحروبه المقدسة في سبيل نشر الدين ، وكان موفقا منذ البداية إذ يقول :

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُول الله أَوعدني ... وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاك نَافِلَة ... الْقُرْآن فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
لَا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ ... أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الْأَقَاوِيلُ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ ... أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ
لَظَلَّ يَرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ ... مِنْ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أُنَازِعُهُ ... فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قِيلُهُ الْقِيلُ

من علامات توفيق الشاعر وهو يسوق الحجج التي بها ينال العفو ، أنه في البداية يذكر (رسول الله) مرتين في بيت واحد ، وفي إقرار بالرسالة واعتراف بالدين

الذي طالما أنكره ، وفر هاربا حتى لا يستسلم له ، وكان بمقدوره أن يقول (محمدا) ، ولكنه جنب نفسه كثيرا من الزلل والجهد ليقنع النبي بأنه قد أسلم ، وبهذا تحققت غايات النص :

1- "غاية تصديقية إقناعية : أي الحمل على التصديق بسلامة نية المتكلم وبراءته.

2- غاية إيقاعية : حاول الشاعر أن يوجه المخاطب نحو أهداف الخطاب التي سطرها

ذلك أن الحجاج " هو دائما إثبات لحجة ، وإلغاء لحجة مضادة ، مما يضاعف درجة الإقناع لدى المتلقي " [31]

ويبدو أن الشاعر وهو في طريقه إلى التوبة قد ألمّ ببعض من آي الذكر الحكيم ، وجمع من مفردات الإسلام ما يمكنه من المثول بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أوتي من أدوات الدفاع ما ينجيه من الهلكة ، يقول :

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظ وتفصيل

ولا يخفى ما في البيت من تأثر بقول الله عز وجل :

" وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ " [32]

بل إن الشاعر في هذا البيت ساق أربعة أساليب حجاجية ؛ الأول بالطلب (مهلا) فهو يطالب بالرفق به والأناة وعدم التسرع في الحكم عليه ، والثاني (هداك) وهو خبري لفظا إنشائي معنى غرضه الدعاء ، ومعناه زادك الله من الهدى ، فاقتضى ذلك هدى سابقا ، وطلب هدى متجدد . [33]

---

[31] - انظر : في نظرية الحجاج : عبد الله صولة –ص 146 : 149

[32] - سورة الأعراف : آية 145

[33] - انظر شرح قصيدة كعب بن زهير لابن حجة الحموي ص 72

وقد لجأ الشاعر إلى الكذب لينجو بنفسه من العقاب ، وهو كذب محمود ، مدحه ابن رشيق بقوله " ومن فضائله أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حسن فيه، وحسبك ما حسن الكذب، واغتفر له قبحه، فقد أوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير لما أرسل إلى أخيه بجير ينهاه عن الإسلام ... " حتى قال " فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم متنكراً ... إلخ ، ووجه الكذب في قوله :

لا تأخذني بأقوال الوشاة فلم ... أذنب، ولو كثرت في الأقاويل

فهو يزعم أن ما وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخبار عنه إنما هي أخبار كاذبة ، وما فعلها إلا الوشاة الذين يسعون بينهما بالقطيعة والنميمة ، قال ابن رشيق : " فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم قوله، وما كان ليوعده على باطل، بل تجاوز عنه " [34]

وقد وصل الشاعر إلى أعلى درجات الإقناع عندما قال :

إنَّ الرَّسَولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

وقد أكد الشاعر حججه التي ساقها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، في جميع مفردات البيت : (الرسول) إقرار بالرسالة ، (نور) تشبيه يوحي بالهداية ، (يستضاء) استعارة وتأكيد على نشره النور والهدى ، (مهند) سيف هندي من أجود السيوف ، (سيوف الله) يجاهد ويقاتل في سبيل الله ، (مسلول) فيها دلالة على العزة والاستعداد الدائم لخوض المعارك ، إنه تكثيف لغوي ودلالي مفعم بالحجج التي تمكنه من نيل الرضا والصفح .

ولعل من آيات الندم ، ومظاهر التوبة ، أنه حينما ثاب إلى رشده ، واتجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة " لم تصده الأهوال ، ولم تمنعه المفاوز ، ومازال يقتحم الأخطار متخذا من ظلام الليل ستارا يقيه أعين الرقباء المتربصين به حتى وصل

[34] - العمدة في محاسن الشعر وآدابه : لابن رشيق القيرواني 24/1

إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووضع يمينه في يمينه فهو وحده الذي يملك عقابه ، وقوله الفصل " [35]

مدح الصحابة :

يلجأ الشاعر إلى وسيلة حجاجية أخرى لمزيد من الإقناع والتأثير ، تتجلى في مدحه لأولئك النفر الجالسين في المسجد ، المحيطين بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم ، وكأني به بعد أن فرغ من المدحة النبوية يلتفت إلى الصحابة ، ويشير إليهم ، ويقول :

فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشُفُ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ
شُمُّ الْعَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمْ ... مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ
بِيضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ ... كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ
لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ ... قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا
يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ... ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ
لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ ... وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

لقد أحسن الشاعر استغلال الموقف لصالحه ، حتى يكسب تاييد الصحابة ، فيكونوا في صفه ، وقد عبر بالألفاظ الدالة ، فهم (عصبة من قريش) ، (زالوا) ، ليس فيهم (أنكاس ولا كشف) ، (ولا ميل معازيل) ، وهم (شم العرانين ، أبطال ، سرابيلهم من نسج داود) ، أي دروعهم حلقاتها قوية متينة متداخلة.

ولننظر إلى ما ذكره الشاعر من أفعال تدل على الواقعة مثل (زولوا – زالوا) ، وأسماء توحي بمعلومات أو خبرات مشتركة بينه وبين المخاطب (الرسول صلى الله عليه وسلم) مثل (قريش – بطن مكة) ، وكل هذه من الأدوات الحجاجية ، التي تدل على أن الشاعر يمتلك كفاءة لغوية بحيث يستطيع أن ينقض الادعاء ، وينفض عن نفسه

[35] - روائع الأدب في عصور العربية الزاهية : د / محمد نبيه حجاب ، دار المعارف بمصر ، ط 1 ، 1973م ، ص 21

التهمة المنسوبة إليه ، فهو يريد أن يثبت لنفسه صفات يملك بها نفس المخاطب ، وقد وظف الشاعر الأدوات اللغوية وخاصة اسم المفعول ، وأدوات التوكيد ، والعبارات الدالة على قوة المخاطب ، في مقابل العبارات الدالة على الضعف من جانبه ، ومادحا في الوقت نفسه .

يري الدكتور شوقي ضيف أن " لأثر الإسلام في نفس كعب بن زهير وشعره الشيء الكثير ، وديوانه يدل – كما يدل تأخره في إسلامه – على أنه كان فيه شر كثير ، إذ نراه دائما في شعره الجاهلي مفاخرا متوعدا مهددا ، حتى إذا أسلم أخذت نفسه تصفو ، وأخذ يستشعر معاني الإسلام الروحية ، وما دعا إليه من الخلق الفاضل " [36]

واعتمد الشاعر على الكناية في هذا المقطع كوسيلة حجاجية ناجحة تقدم المعنى مصحوبا بالدليل عليه ، فالدروع من نسج داود عليه السلام ، كناية عن جودة الصنع والمتانة ، والصحابة لا يشمتون في أعدائهم إذا انتصروا عليهم ، ولا يصيبهم الجزع إذا هُزموا ، ولا يفرون من المعارك ، فهم يواجهون العدو بصدورهم ، لهذا لا يقع الطعن إلا في نحورهم .

وكل هذه الكنايات المتتالية تفيد ارتفاع منزلة الصحابة وقوتهم ، وفي المقابل تفيد ضعف الشاعر ، بل وضعف موقفه ، وحاجته إلى الصفح .

ويدخل ضمن الأدلة الحجاجية " المتفاعلات النصية الدينية ، التي تتداخل بالتاريخ " وذلك من خلال إشارات إلى أسماء دينية لها بعد تاريخي ، أو إشارات إلى

[36] - العصر الإسلام : د / شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 7 ، د ت ، ص 88

بعض القصص أو الوقائع فيهما " [37]، وذلك لأن الاستشهاد بوقائع وأحداث من الماضي ، وتجارب إنسانية وأحداث تاريخية مما يحظى باهتمام المخاطب . [38]

وقد استعان الشاعر بحدث من أهم أحداث السيرة النبوية ، وهو حدث الهجرة ، قدمه كدليل حجاجي على إلمامه بتاريخ هؤلاء الصحابة الأجلاء ، الذين صدرت لهم الأوامر بالانطلاق من مكة إلى المدينة ، فما كان منهم إلا ان خرجوا من ديارهم واموالهم ، ينصرون الله ورسوله ، ليس فيهم الأنكاس أي الضعفاء ، ولا الأكشف الذي ليس معه ترس ، ولا الميل الذين لا يحسنون الركوب ، ولا الأعزل الذي لا سلاح معه ، يقول كعب :

فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا

زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشُفٌ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ

ولا يخفى ما في هذا المشهد من تصوير نابع من شعور بالإعجاب ببطولات الصحابة وصفاتهم ، " إن البعد العاطفي هو الذي يرشح أكثر من غيره الخطاب لكي يكون حجاجيا " بقدر ما يتقوى الجانب العاطفي يقترب الخطاب من الحجاج وينأى عن البرهنة " [39]

[37] - انفتاح النص الروائي ، النص والسياق : سعيد يقطين ، ط 2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2001م ، ص 107

[38] - انظر : الحجاج في شعر النقائض ص 130

[39] - مدخل إلى الحجاج : د / محمد الولي ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع 2 ، م 40 ، أكتوبر – ديسمبر 2011م ، ص 16

(5)

اللغة ودورها الحجاجي :

يتحرك الشاعر في ثلاثة أطر ؛ زماني ، ومكاني ، وبشري ، أما الإطار الزماني فهو الهاجرة ، التي تجعل الحرباء تلك الدويبة تحترق ، وعندما تصيبها حرارة الشمس لا تحتمل لهيب الرمال التي أدخلت فيها ، وفي وقت القيلولة كانت الطيور الصغيرة ترفرف بأجنحتها من شدة الحر ، فتضرب الحصى فيتطاير :

يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِدًا ... كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ

وَقَالَ لِلْقَوْمِ حاديهم وَقد جعلت ... وُرْقُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا قِيلُوا

قال الزمخشري : " وَكَذَلِكَ كل شَيْء تنضجه فِي الْجَمْر. وَقَالَ فِي صفة الحرباء: ... كأَنَّ ضَاحِيَه فِي النَّار مَمْلُول ... وامتَلَّ الرجل امتلالا إِذا اختبز فِي الْمَلَّة " [40]

وذكر ابن الأثير رواية أخرى للبيت :

يَوْمًا يظلُّ بِهِ الحِرْباءُ مُصْطَخِداً ... كأَنَّ ضَاحِيَة بالنَّار مَمْلُولُ

ثم قال : " المُصْطَخِد: المُنْتَصِب. وَكَذَلِكَ المصْطَخِمُ. يصفُ انتصابَ الحرْباء إِلَى الشَّمْسِ فِي شِدَّة الحرّ " [41] ، وقوله " كأَنَّ ضَاحِيَةُ بالنَّارِ مَمْلُولُ " أَيْ كأَنَّ مَا ظَهر مِنْهُ لِلشَّمْسِ مَشْوِيٌّ بالمَلَّةِ مِنْ شِدَّةِ حَرّه . [42]

---

[40] - الفائق في غريب الحديث والأثر : الزمخشري ، تحقيق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – لبنان ط 2 ، د ت 386/3

[41] - النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت، 1399هـ – 1979م، 14/3

وما يستفاد من هذه التركيبة اللغوية الفريدة – بروايتيها المختلفتين – أنها تبين كيف أن الشاعر تحمل المشاق وركب الأهوال وهو في طريقه ، فيكسب تعاطف السامع ، حتى يرق لحاله ، ويقبل عذره .

كما يتحرك الشاعر في إطار مكاني : يوحي بالإحباط والعجز ، وقد صوره تصويرا هندسيا بارعا ، فالأرض التي تسير فيها الناقة بعيدة جدا ، وهي أرض غليظة صلبة (حزان – ميل) ، لا تتحمل السير فيها إلا ناقة ذات مواصفات خاصة ، وإمكانات عالية :

أمست سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل

لذلك احتاج إلى الناقة التي تقوى على السير في الهواجر ، فهي تتوفر فيها صفات الصلابة والمهارة والقوة والسرعة ، ترى ما غاب عن العينين ، كأن عينيها عينا ثور الوحش الأبيض (عرضة للسفر) تقوى عليه ، (مرفقها مفتول) قوية السيقان ، وعموما هي مفضلة على كل النوق حتى إنها تشبه الذكور (في خلقها عن بنات الفحل تفضيل)

والإطار الثالث الذي يتحرك فيه الشاعر إطار بشري فاعل قادر قوي : (المحبوبة – الوشاة – الرسول صلى الله عليه وسلم – الصحابة) ، يصف من حوله ، ويشغل هو وظيفة المفعول به ، ولقد اجتمعت عليه أسباب الخوف والحزن والضعف فهو مقتول ومنسوب ومسئول ومحمول ... إلخ ، وكلها وسائل حجاجية ، وظواهر لغوية ، استعان بها الشاعر لعرض قضيته ، وتأييدها بالأدلة ، والدفاع عن نفسه ، وكانت النتيجة : الاقتناع بالأدلة ، والعفو وقبول الاعتذار والحصول على البراءة .

---

[42] - النهاية في غريب الحديث والأثر 362/4 ، وانظر : لسان العرب : جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ) ، دار صادر – بيروت ، ط 3 – 1414 هـ ، 629/11 ، 630 فصل الميم

الصورة تؤدي وظيفة حجاجية :

تعد الصورة من أهم الوسائل الحجاجية التي يعتمد عليها الشاعر للتأثير على المتلقي ، وإقناعه ، ونظرا لأن الشاعر قد عمد إلى التكثيف الشديد للصور ، فإننا لا نستطيع أن نحصيها جميعا ، ولكننا سوف نكتفي بضرب أمثلة لطريقته في استخدام الصورة كوسيلة حجاجية .

ففي بداية القصيدة يصف الشاعر مواعيد المحبوبة التي لا تفي بها فيقول :

فَمَا تَدُوم على حَالٍ تَكُونُ بهـا ... كما تَلَوّنُ في أثْوابِها الغُولُ

وَلاَ تَمَسّكُ بالعَهد الذي زَعَمَتْ ... إلاّ كما يَمسِكُ الماءَ الغَرَابِيلُ

كانتْ مَواعِيدُ عرقوبٍ لها مَثَلاً ... وما مَواعِيدُها إلاّ الأباطيلُ

هذا التشبيه التمثيلي يبرز مدى مراوغة المحبوبة التي صارت متلونة كتلون ذلك الحيوان الخرافي الغول الذي يتراءى للسائرين في الفلوات ، فيضلهم عن الطريق الصواب ، ثم يعود فيصور استهانة محبوبته بالوصل وعدم تمسكها به بحالة الغرابيل التي لا تمسك الماء ، فيذهب الوعد هباء ، ويصير الوصل جفاء ، وأما مواعيدها فهي مواعيد عرقوب ، ذلك الرجل الذي دأب على المماطلة والمراوغة فصار مثلا .

ولهذا المقطع الشعري علاوة على شعريته الدافقة ، واجهة حجاجية إقناعية ، إنه يعدل أو يرسخ رأيا ما بصدق الشاعر ، وإحساسا ما بالتعاطف معه ، فهو ينغمر في فيض من الشعرية الدافقة بفضل التشبيهات المتوالية التي يتمثل فيها (الغول – الغرابيل – عرقوب) وهي حيوان وجماد وإنسان ، وقد توهم بأنه مجرد عرض وصفي جمالي لأشياء منتمية إلى البيئة المحيطة ، ولكنه في الحقيقة مفعم بقيم حجاجية قوية ، وهو يخرج المتلقي من دائرة التذوق الجمالي الحيادي ، إنه لا يتركنا حياديين إزاء ما يرويه إذ يعدل أو يحاول تعديل موقفنا إزاء ما حدث من رحيل المحبوبة وخلفها الوعد ، وعدم صدقها معه ، وتخليها عنه ، وكيفية استقباله للمتاعب التي ألمت به بعد ذلك .

والتشبيه هنا يلعب دورا حجاجيا ، حيث وظفه الشاعر في إبراز التوتر النفسي والاضطراب بسبب تلاعب المحبوبة بمشاعره ، فيؤدي هذا التوظيف إلى التأثير على مشاعر المتلقي ، فيصعب عليه حاله ، ويرق له .

وهذا مقطع آخر يلجأ فيه الشاعر إلى التشبيه ، ويرسم صورة ممتدة ، تشمل ستة أبيات ، لا يستغني أحدها عن الآخر ، ولا يمكنك أن تغير من ترتيبها شيئا ، والحيلة الحجاجية فيه أن الشاعر يبرز ما استولى عليه من مشاعر الخوف والفزع أمام النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا الأسد الجالس في عرينه ، الذي تتضاءل أمام سطوته السباع ، وقد أخذ يطعم ولدين له من الأسود يتغذيان على اللحم ، ويستمر الشاعر في الترشيح ومتابعة امتداد الصورة ووصف المشبه به ، حيث إن الأسد لو وثب على أسد آخر (قرن له) لا يتركه إلا وهو مهزوم منكسر ، ثم يعود الشاعر إلى وصف بطولة المشبه الذي إذا افترس أحدا من الشجعان الذين يثقون في أنفسهم بالشجاعة ، أمسى هذا الخصم وهو مطروح السلاح ، مضرج الثياب ، ملطخ بالدم ، مأكول .

وَلَهْوَ أهيبُ عِنْدي إذ أُكلّمه ... وَقِيلَ: إنّك مَنْسُوبٌ وَمَسْؤول

من ضَيْغمٍ من ضِرَاءِ الأسد مَخدَرُهُ ... ببطنِ عثَّرَ، غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ

يَغْدو، فَيَلحَمُ ضِرْغامَيْنِ، عيشهما ... لَحْمٌ مِنَ القَوْمِ مَعفور، خَرَاذيل

إذا يُساوِرُ قِرْناً لا يَحِلُّ لَهُ ... أن يتْرُكَ القِرْنَ إلاّ وَهُوَ مَفلول

مِنْهُ تَظَلّ حَميرُ الوَحشِ ضَامِزَةً ... ولاَ تُمَشَّى بِواديهِ الأراجِيل

وَلاَ يَزالُ بِوَادِيهِ أَخو ثِقَةٍ ... مُطرَّحُ اللحمِ، والدِّرْسانِ، مأكول

أستطيع أن أصف هذه الصورة بأنها من " الاستراتيجية التوجيهية ، التي يوظفها المتكلم لتبليغ قصده وتحقيق هدفه " [43] ، ولقد كان الشاعر بارعا مرة أخرى في توظيف

[43] - الحجاج في شعر النقائض ص 55

التشبيه ، في أن يصبح أداة حجاجية ناجعة ، تحمل المخاطب على تغيير موقفه ، والاستمرار في سماع أدلة دفاعه .

وفي النهاية نجد أن " جميع هذه النتائج لها صفتان حجاجيتان ؛ الأولى أنها إلزامية أي لا بد من ظهورها في عالم الخطاب ، والثانية أنها إقصائية ، أي أنها تقصي نقيضها من عالم الخطاب " [44]

[44] - في نظرية الحجاج : عبد الله صولة ص 15

الخاتمة

من خلال تطبيق النظرية الحجاجية على قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير رضي الله عنه ، تبين لنا قدرة الشاعر على تبرير مواقفه ، وإثبات آرائه ، وحمل السامع على التسليم بها ، وقد لاحظنا ترابطا حجاجيا بين أجزاء النص ، حيث إنه يكشف عن تجمع المحن والعذابات والأزمات على الشاعر ، فقد مر بحالات من الاضطراب متعددة ومختلفة ، اضطراب عاطفي بسبب رحيل المحبوبة ، اضطراب اجتماعي بسبب الظروف البيئية التي يعيشها في الصحراء وحاجته إلى راحلة قوية تبلغه هدفه ، اضطراب نفسي بسبب أقوال الوشاة والتهديد وإهدار دمه .

ولقد أكدت الدراسة أن في القصيدة ترابطا موضوعيا ، وأن تعدد الأغراض جاء مسلسلا منطقيا وفقا للرؤية الحجاجية عند الشاعر ، واستخدامه الأغراض بوصفها أدوات إقناعية .

وكان للغة أيضا دورها الحجاجي ، فجاءت الألفاظ دالة على الأطر التي يتحرك فيها الشاعر ، الزماني وهو وقت الهاجرة ، والمكاني وهو تلك الحزون التي تسير فيها الناقة فتتعثر ، وهو مكان يوحي بالإحباط والعجز ، وقد صوره تصويرا هندسيا بارعا ، أبرز صعوبة الرحلة وما لاقاه فيها من عنت ، مما يثير الإشفاق عليه .

أما الإطار البشري فقد جاء فاعلا قويا متمثلا في عدة شخصيات بشرية منها : المحبوبة والوشاة والرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ، في مقابل شخصية الشاعر الذي شغل وظيفة المفعول به ، فهو مقتول ومنسوب ومسئول ومحمول ... إلخ ، وكلها وسائل حجاجية .

ووجد الباحث أن الخطاب ليس مقصورا على الممدوح الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل هو خطاب للعموم ، شمل كل المتلقين للقصيدة ، وتلك أيضا حيلة حجاجية .

وتوسل الشاعر بالصورة أيضا للإقناع بها ، واعتمد عليها للتأثير على مشاعر المتلقي ، فاستخدم التشبيهات التي تلعب دورا حجاجيا ، ووظفها في إبراز الحالة النفسية

له ، كما استخدم الصور الكلية التي أبرزت انفعالاته وما انتابه من فزع وهلع من جراء التهديد بالقتل .

ولقد كان الشاعر بارعا في توظيف الصورة في أن يصبح أداة حجاجية ناجعة ، تحمل المخاطب على تغيير موقفه ، والاستمرار في سماع أدلة دفاعه .

المراجع

1- انفتاح النص الروائي ، النص والسياق : سعيد يقطين – ط 2 – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – 2001م .

2- تاريخ الأدب العربي : بروكلمان ، ج 1 ، ترجمة د / عبد الجليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ، 1978م .

3- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (ت 170) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ت .

4- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: د / سامية الدريدي – عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن – 1432هـ / 2011م .

5- حديث الأربعاء : طه حسين – دار المعارف بمصر – ط 12 – 1976م

6- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي، القاهرة – ط 4، 1418 هـ - 1997 م

7- ديوان كعب بن زهير صنعة أبي سعيد السكري ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الشواف للطباعة والنشر – الرياض ، ط 1 ، 1410هـ / 1989م .

8- ديوان كعب بن زهير ، تحقيق علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1417هـ / 1997م .

9- روائع الأدب في عصور العربية الزاهرة : د / محمد نبيه حجاب ، دار المعارف بمصر، ط 1 ، 1973م .

10- الروض الأنف : للسهيلي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، 1390هـ

11- السيرة النبوية : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط 2، 1375هـ - 1955 م

12- شرح شواهد المغني : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ) طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان ، الناشر: لجنة التراث العربي ، 1386 هـ - 1966 م .
13- شرح قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) : لابن حجة الحموي ، تحقيق د / علي حسين البواب ، مكتبة المعارف الرياض ، 1406هـ / 1985م .
14- شرح قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير : لابن هشام. المطبعة الميمنيّة أحمد الحلبى ، القاهرة 1307 هـ. ومعها حاشية الباجوري
15- الشعر والشعراء : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ) تحقيق / أحمد محمد شاكر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1377 هـ / 1958 م .
16- الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1419 هـ .
17- طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1974م .
18- العصر الإسلامي : شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة – ط 7 – د ت .
19- العصر الجاهلي : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981م
20- العمدة في محاسن الشعر وآدابه : أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: 463 هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت – ط 5 – 1401 هـ - 1981 م .
21- الفائق في غريب الحديث والأثر : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) ، تحقيق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – لبنان ط 2 ، د ت .
22- في نظرية الحجاج – دراسات وتطبيقات : عبد الله صولة ، مسكيلياني للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2011م .

23- كنه المراد في بيان بانت سعاد : جلال الدين السيوطي ، تحقيق مصطفى عليان ، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1426هـ / 2005م .
24- لسان العرب : جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ) ، دار صادر – بيروت ، ط 3 – 1414 هـ .
25- مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: 518هـ) ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة – بيروت، لبنان ، د ت .
26- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام : الدكتور جواد علي ، دار الساقي ط 4 ، 1422هـ/ 2001م
27- المقدمة : ابن خلدون ، دار الجيل ، بيروت ، د ت .
28- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب : شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: 1041هـ) ، تحقيق : إحسان عباس – دار صادر– بيروت الجزء: 2 – الطبعة: 1، 1997
29- النقد الأدبي الحديث : د / محمد غنيمي هلال– دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة – 1977م
30- نقد الشعر : قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (المتوفى: 337هـ) مطبعة الجوائب – قسطنطينية ، ط 1، 1302هـ .
31- نهاية الأرب في فنون الأدب : أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ) – ج 16 – دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، ط 1 ، 1423 هـ
32- النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت، 1399هـ – 1979م

الرسائل الجامعية :

1- الحجاج في شعر النقائض – دراسة تداولية : مكلي شامة ، ماجستير بكلية الآداب – جامعة مولود معمري – الجزائر – 2009م

2- القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير : منيرة عائش سعود كليب – رسالة ماجستير – كلية التربية – جامعة أم القرى – 1435هـ

الدوريات :

1-مدخل إلى الحجاج : د / محمد الولي ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع 2 ، م 40 ، أكتوبر – ديسمبر 2011م .